مناقشات

«مقالة واحدة» بين عبد الدائم والمناف..

بقلم : هادي طعمة

سأزعم في هذه الكلمة أن هناك مقالة واحدة ، نشرت على هيأتين، الاولى : بقلم الدكتور عبد الله عبد الدائم ، وقد نشرت في العدد ٤٩ من مجلة المعرفة الدمشقية ، اذار ١٩٦٦ ، السنة الخامسة . والثانية: بقلم الكاتب جميل المناف ، نشرها في العدد (١١) من مجلة الاداب البيروتية ، تشرين الثاني ١٩٦٧ السنة الخامسة عشرة .

وسأزعم أيضا أن الكاتب جميل المناف لم يكتف بانتحال بعض مقاطع من مقالة الدكتور ، فينسبها الى نفسه ، بل انه ـ فيما عدا فقرات قليلة اقتضت ظروف ما بعد الحرب الاخيرة ، تدوينها ـ قد أتى على أغلب المقالة المذكورة ، وسار معها الى حيث يريد التلخيص الذي فرض نفسه على الكاتب جميل المناف ، لا الى حيث يريد الكاتب نفسه أن يسير .

وسأقرر البديهية المعروفة ، القائلة : اننا جميعا نعرف أن هناك بحوثا ودراسات ترد فيها اقتباسات كثيرة من مؤلفات عديدة ، وان هذه المقتبسات ، ان لم توضع بين أقواس ، فانه لا بد أن يشار اليها اينما وردت ، وكيفما وردت . وذلك احتراما من الكاتب لنفسه وغيره ممن ينقل عنه أو من يطرح عليه ما يكتب . وقبل هذا ، حفاظا على الامانة العلمية من أن تنحدر الى هوة السرقة وشناعة الادعاء الباطل والتعالم الزائف .

وأخيرا ، سأثبت ذلك للقراء .

ومن البداية ، العنوان هو : الصراع بين الحقيقة والاسطورة ، في حين أن عنوان مقالة الدكتور عبد الله عبد الدائم هو : بين الخرافة والحقيقة ، وهما ـ بالطبع ـ في معنى واحد .

يستهل الكاتب جميل المناف مقالته ، هكذا : « الاسطورة هي الصهيونية والحقيقة هي العروبة .. هاتان هما حلبتا الصراع في المعركة الدائرة الان في الشرق الاوسط .. ومن قبل ولادة اسرائيل وبعد ولادها كان الصراع محتدما ولكن اوجهه تعددت وتفاوتت زمانا ومكانا .. » .

بينما نجد هذا القول نفسه موجزا بقلم الدكتور عبد الله، مستهلا به مقالته أيضا ، وهو : « خرافة الصهيونية وحقيقة العروبة : هاتان هما حلبتا المعركة قبل ولادة اسرائيل وبعد ولادة اسرائيل . » .

ثم يأتي الكاتب جميل ليتساءل : « فهل تنتصر الاسطورة على الحقيقة .. لان الاولى تملك حوافز الفعالية والتحريض ، وعوامل العمل على تثبيت الذات بالقوة والعنف واستغلال منجزات العلم والتكنولوجية .. اما الثانية فلا تزال « مترهلة » تشعر ببلادة السكون والطمأنينة الكاذبة ؟ » .وهو نفس تساؤل الدكتور ، مع شيء قليل من الاختلاف في التعبير ، اذ يقول : « فهل تنتصر الخرافة على الحقيقة .. » ؟ .. ثم يستطرد واصفا العمل على تثبيت الخرافة بالزيف : « فالزيف لا يتراجع طائعا امام الحقيقة ، لانه زيف . والزيف ماض في لعبته عازم على جريمته ، .. الخ .. والحق اضعف ما دام مطمئنا الى حقه اطمئنانه الى عصا سحرية تغير الامور سهوا رهوا ، مؤمنا بنصره ... » حتى يقول ان الصهيونية قد « استخدمت في سبيل توطيد اركان الخرافة عبقرية العلم.. فامتاحت من العلم والتكنيك خير نتائجهما ، وسخرتهما في سبيل التنمية الاقتصادية والاجتماعية».

أما عن الحقيقة العربية ، فان الدكتور يقول : « وما تزال خطواتها خجولة مستانية ، متعثرة ، وما يزال اطمئنانها الى حقها أعمق من عملها في سبيل توكيد ذلك الحق .. » .

والناظر في هذين التعبيرين لا يجد اختلافا فيهما الا من حيث التعبير وموضعه من المقالين . على أنه لا يفوتنا أن نذكر بأن الدكتور كان قد تعرض الى جرائم الصهاينة في فلسطين بهدف تثبيت «الخرافة أو الاسطورة » بالقوة والعنف . وهنا تكتمل الصورة المصغرة لمقالة الدكتور ، على يد الكاتب جميل المناف . تلك الصورة التي استغرق كل جانب من جوانبها ما يقرب من الصفحة، أو قد ينوف عليها أحيانا.

ويصح ـ عندي ـ أن ما أوردته من كلام الكاتب ، انما هو الخلاصة عينها التي وصل اليها الدكتور ، وعندئذ لا يكون للكاتب أي فضل في استخلاصها ، لانها ليست حصيلة تفكيره وتعقابه ، ولانه قد أتى عليها ساطيا ، بدلالة أنه لم يشر الى مقالة الدكتور لا من قريب ولا من بعيد ـ كما اتضح مما أوردناه ، وكما سيتضح فيما بعد .

يقول الكاتب : « أن الاسطورة الصهيونية تلبس ثوب العلم بينما حقيقة جوهرها زيف وباطل ، وتتقن فن مخاطبة الشعوب وبناء نفسها في كل شبر تحتله .. انها محصنة ـ بزيفها ذاته .. بكل أباطيله وادعاءاته وفنونه الشيطانية . بينما الحقيقة العربية بعيدة عن الصدق مع نفسها ، بعيدة عن التنظيم العلمي والمنهجة المدروسة .. » ، أما الدكتور عبد الله عبد الدائم ، فانه يفصل هذا الزيف في صفحات ، اخترنا منه فقط ما يقابل تعابير الكاتب .

يقول الدكتور : « ان اسرائيل مطوقة بالزيف من كل جانب ... فالزيف يلفها في نشأتها .. » وان اسرائيل قد « توسلت بكل وسائل الخداع ، وأيدت خداعها بالعلم والعمل والدأب .. » .

كل هذا استخلصناه من أكثر من نصف العمود الاول . ويظل الكاتب على هذه الحال من السرقة الواضحة ، الذكية ـ ان جاز التعبير ـ حتى يصل الى منتصف العمود الثاني ، حيث يخف عمل الذكاء ، في حين تبقى السرقة هي هي على حالها ، فتزداد وضوحا . يقول الكاتب « والزيف الاسرائيلي مثابر وعنيد .. انه يحيا بطاقات محفزة تنبع من اسطورته الصهيونية ذاتها .. ويقوم عمله وجهده على هذه القاعدة .. ليؤكد سبيل العناء التي يطبقها للعبور الى اهدافه ... » . على حين ان الدكتور كان قد سجل ذلك بالنص التالي : « الباطل عنيد ومثابر ، لانه يحيا من امعانه في باطله ، ويقوم وجوده على الجهد والعناء في سبيل توكيد الزيف .. » . وسبيل توكيد الزيف كما هو بين وواضح عند الدكتور عبد الله عبد الدائم ، هنا ، ومن خلال المقالة ، هو تثبيت الوجود الصهيوني الشاذ على ارض فلسطين . أما عن الحقيقة العربية البعيدة عن الصدق مع نفسها ، البعيدة عن التنظيم العلمي والمنهجي المدروسة ، حسب ما يقول الكاتب، فان الدكتور لا يلجأ الى هذا الحكم وعلى هذه الصورة ، بل انه يتناوله بالبحث والدراسة ، منطلقا اليه من خلال « عامل التخلف العلمي والتقني » و « مطلب التعليم والتربية » للجمهرة الكبرى من المواطنين الفقراء المحرومين ـ بتعبير الدكتور ـ ومن خلال « ضعف روح البحث والدراسة والتنقيب .. » ولندع هذا التماثل ، ونأت الى قول الكاتب : « المسألة ، كل المسألة ، ان الحقيقة لا تزال غير متكاملة ـ ذاتيا ـ وموضوعيا . بينما الاسطورة تهيأت لها عوامل التكامل في الفكر الصهيوني اولا وفي واقع الامبريالية ، ثانيا : وفي البناء الذاتي والموضوعي قبل كل شيء وبعد كل شيء ! » فاننا نجده لدى الدكتور ، هكذا « المسألة كل المسألة أن تستطيع الحقيقة تعرية الزيف، وأن يقوى الحق على أن يكون حقا .. » وان الصهيونية قد « جعلت رائدها الاول تفجير الكفاءات والخبرات .. تذلل العقبات تذليلا ذكيا مسلحا بكل ما في العلم من قدرة على الابداع والعطاء . لقد انطلقت

من .. الانسان .. تعني قواه الذاتية المبدعة ، وطاقاته الخلاقة ... وقر في يقينها أن « العقل الرائد » العقل المبادر الى غزو الطبيعة والاشياء ، المزود بجرأة المعرفة وقوة العلم والفن ، هو أثمن ما يمكن أن تمتلكه امة . » ان هذا الواقع هو معكوس ما عليه للحقيقة العربية ـ عند الدكتور . ثم أن الكاتب يدون ما يلي : « والحق العربي مستكين قد أخذته العزة بالحقيقة ونال منه الغرور منالا ، فاكتفى بالثقةالمطلقة بالنفس ورأى أن قضاياه معروفة ولا تحتاج الى برهان ودليل .. ومتى كان نور الشمس يحتاج الى دليل أو برهان ؟ .. ومن هنا يأتي الشعور بأن النصر مكتوب للعرب لا محالة .. » .

بينما نقرأ هذا في مقالة الدكتور بهذا التعبير : « والحق قد يستكين ، وقد تأخذه العزة ، وينال منه الغرور ، فيكتفي بحقه من أجل توكيد حقه ويرى أن نور شمس لا يحتاج الى برهان ، وان النصر مكتوب له لا محالة » .

ومثل هذا التطابق ، قول الكاتب : « أجل ! تلك هي المسألة : الاسطورة تتوسل بكل الوسائل الحضارية المعاصرة وتخادع وتبدي خداعها بالعلم والتكنولوجيا في سبيل أمة مفتعلة .. والقومية العربية الاصيلة الجذور والخصائص .. تعجز جميع حقائقها عن أثبات نفسها. لان عوامل الخلق فيها لم تنقلب الى واقع حي .. فقصر وجودها عن مداه وقصرت عقليتها عن مدارك الواقع .. فلم تدرك غاياتها وظلت ضعيفة أمام باطل عات وطاغ . ونجد حقيقتها متخاذلة أمام الاسطورة الصهيونية » .

على حين أن الدكتور عبد الله عبد الدائم كان قد دون ذلك في ما نصه : « أجل ، تلك هي المعركة : صهيونية زائفة ، توسلت بكل وسائل الخداع ، وأيدت خداعها بالعلم والعمل والدأب ، في سبيل خلق أمة ... وقومية عربية عميقة الاصول والجذور ... تعجز حقيقتها الواحدة العميقة عن أن تنقلب الى واقع حي ، ويقصر وجودها عن مداه ، ولا تدرك قواها غايتها فتلفي نفسها ضعيفة أمام باطل غيرها ، وتجد قوميتها الصادقة متخاذلة أمام أسطورة الصهيونية » .

أهكذا يكون البحث العلمي والموضوعية في الكتابة ، والامانة ازاء الفكر والنفس والقراء في آن واحد ؟! . واني لاتساءل ـ وهو ما قد يرد الى اذهان نفر من القراء ـ أكل هذا التماثل والتطابق ، وهذا التسلسل الواحد في تناول موضوع بعينه ، المنتهي الى نتائج واحدة ، من قبيل توارد الخواطر ؟! . ليس هناك ـ فيما أظن ـ أي عقل يقبل بهذا الافتراض بعد الذي اتضح ،ولكنا ـ برغم ذلك ـ نقبله جدلا ، ونمضي مع المقالتين ، فهما اللتان ستخبراننا بما فيهما . يقولالكاتب: « لنعد قليلا الى التاريخ : الحركة الصهيونية حركة سياسية مفتعلة لانها منقوصة الاصول مختلفة الجذور . عملت بدأب على ممارسة الزيف والكذب وتسليحه بالايمان والفكر المرصوص والذكاء .. على خلق قومية اسطورية ـ قومية مفتعلة ـ قومية وهمية ـ على غرار ما أراد مفكرو النازي من خلق قومية عنصرية . ولكن الفرق بين النازي والصهيونية أن الاول بنى قوميته العنصرية في أرضه وانطلق موجها عدوانه ضد الشعوب الاخرى . بينما الصهيونية بنت عنصريتها الموهومة في أرض غير أرضها وعلى حساب شعب آخر .. لقد اعتمدتالصهيونية على تزييف حقائق التاريخ وعادت به الى ألفي سنة الى الوراء. حتى أقوال التوراة مسختها وأهداف الدين اليهودي زيفتها لتخلق فيالعقل اليهودي وهما شديد التأثير على النفس ، يشتد ويشتد كلما ازدادت التحديات الموجهة ضد اليهود من العالم ... الى أن يقول .. وهم الشعب اليهودي المختار هو من خلق الاغنياء بالذات منذ عهد السبي البابلي لانه يجعلهم الاسياد دائما . وقد كان هذا الامر منذ عهد يهود فلسطين القدماء الذين شوه أغنياؤهم التوراة ووضع أحبارهم((التلمود)) ـ الكتاب التفسيري ـ كتاب الدجل والحقد والاستغلال والجريمة.»

ثم يخرج من هذا الى الحكم التالي : « واذن فان فكرة شعب الله المختار فكرة طبقية أساسا .. » وليقول « والزيف الصهيوني لجأ الى التاريخ فزيفه وحمله ما لا يحتمل وتقول عليه ، زاعما أن الحقاليهودي يعود الى ألفي سنة وأن ـ الحقوق التاريخية ـ تكون ثابتة رغم مرور آلاف السنين ، مدعيا أن اليهود سلالة واحدة منذ عهد السبي البابلي أو قبله ، ورغم أن اليهود شعب (!!) مهاجر ومنفي فانهم ـانثروبولوجيا ـ من أبناء داود وسليمان ومن نسل اسرائيل القدماء ! .. لقد سخرت الصهيونية من حقائق التاريخ وحدثتنا أن بني اسرائيل جنس واحد له مقومات الاجناس الاخرى ، وهزأت من التاريخ نفسه الذي يؤكد أنبني اسرائيل أنفسهم كانوا وافدين على أرض فلسطين قديما . ان الارض المذكورة كانت مأهولة بسكان من العموريين والكنعانيين والعرب والفلسطينيين ، وانهم خرجوا منها قبل ألفي سنة ، وان فلسطين لم تخلص لهم لا سكنا ولا حكما ! » .

ولنقف الآن عند هذا الحد لكي نقابله مع ما جاء في مقالة الدكتور عبد الله عبد الدائم ، خشية أن يطول ما ننقله من مقالة الكاتب ، فيثقل على القارىء ويخف التركيز لديه . يقول الدكتور : « لنعد قليلا الى الوراء : حركة صهيونية منقوصة ، مختلفة الاصول . أرادت بالدأب على ممارسة الكذب وتسليحه بالفكر والذكاء ، أن تخلق قومية موهومة « أسطورة » قومية ، على غرار ما أراد المفكر النازي « روزنبرغ » . زيفت كل شيء : حقائق التاريخ ، وأقوال التوراة ، وأهداف الديانة اليهودية ، لتخلق في عقول اليهود وهما يشتد ويتزايد ويصدق نفسه ، وهم الشعب اليهودي الموحد ، المنتسب الى أصل واحد ودين واحد ، والجدير بتكوين أمة واحدة وكيان سياسي واحد. لجأت الى التاريخ ، لتحمله ما لا يحتمل ، ولتتقول عليه ، زاعمة أن لها حقوقا تاريخية في فلسطين ، مدعية أن يهود العالم المبثوثين في أرجاء الارض هم من سلالة أبناء داود وسليمان ومن نسل بنياسرائيل القدماء . لم تأبه لحقائق التاريخ ، تحدثنا عن أن بني اسرائيلالقدماء طرأوا على فلسطين وهي مأهولة بسكانها الكنعانيين العرب والعموريين والفلسطينيين ، وأنهم خرجوا منها قبل ألفي سنة ، وأن فلسطين لم تخلص لهم سكنا ولا حكما قط حتى في أزهر أيامهم .. » .

ثم ان الكاتب ادعى العلم بالتاريخ ، وراح يسجل بعض تاريخ فلسطين القديم ، منقولا عن مقالة الدكتور التي أشار علينا فيها ، بالاخص ، بمطالعة « تاريخ بني اسرائيل من أسفارهم » لمحمد عزة دروزة . حسنا ، فلنقارن بين النصين ، نص الكاتب أولا ، ونص الدكتور ثانيا .

يقول الكاتب : « ولقد أتى اليهود القدامى الى فلسطين غزاة فاحتلوا بعض أجزائها ردحا من الزمن ثم طردوا كما يطرد أي غاصب وظلت فلسطين كنعانية عربية حتى عام ١٠٠٠ قبل الميلاد ، وان دولة اليهود لم تعمر غير أربعة قرون كانت تزخر بالاضطرابات والحروب الداخلية والخارجية . ولقد تعرضت فلسطين لغزوات أخرى غير غزوات اليهود .. غزاها الفرس عام ٥٣٩ ق.م وألحقوها بدولة الفرس مدة قرنين كاملين ، ثم غزاها الاسكندر المقدوني عام ٣٢٢ ق.م وألحقها بدولة الاغريق ، وبعدئذ غزاها العرب الانباط سنة ٩٠ قبل الميلاد وظلت تابعة لعاصمتهم البتراء حتى احتلها الرومان !

« والصهيونية تجاهلت كل هذه الحقائق وفوق ذلك تجاهلت أن العرب حرروها من الرومان عام ٦٣٦ م فطبعت كلية بالطابع العربي الخالص لغة وقوما وعالما فتعرب السكان الذين هم من أصول عربية قديمة كنعانية أو من سلالة عرب البتراء والمهاجرين من الصحراء العربية !.. أما مسألة الاسطورة الصهيونية (شعب الله المختار والموعد) فهي من خلق « هرتزل » و « وايزمن » وغيرهما من أقطاب الفكرة الصهيونية التي أضافت الىاقناع اليهود « بالحقوق التاريخية» التعصب الى العنصرية اليهودية ، رغم بطلانها بنظر العلم والتاريخ.. لقد صوروا لليهودي أن جميع يهود العالم ينحدرون من أصول اسرائيلية قديمة نبتت ذات يوم في أرض فلسطين . ومع بطلان العنصرية في عالمنا المعاصر كنظرية وواقع الا أنها تمارس بمسميات

جديدة .. » والآن ، لنقرأ ما كتبه الدكتور عبد الله عبد الدائم في هذا الشأن ، ولنقابله مع ما أوردناه عن الكاتب جميل المناف .

بعد أن يخبرنا الدكتور بأن « فلسطين لم تخلص لليهود لا سكنا ولا حكما قط » يتابع بأنهم « كانوا لها غازين ، يحتلون بعض أجزائها ردحا من الزمن ثم يطردون منها خاسرين » وأن الصهيونية « تجاهلت أن فلسطين ظلت كنعانية عربية حتى عام ١٠٠٠ ق.م ، وأن دولة اليهود التي أرادت أن تحتل فلسطين لم تعمر الا أربعة قرون (١٠٠٠ ـ ٥٨٦ ق.م) حافلة بالاضطرابات والحروب الداخلية والخارجية ، وأن غزوات أخرى غير غزوات اليهود مرت بفلسطين ، اذ غزاها الفرس الايرانيون (عام ٥٣٩ ق.م) والحقوها بدولتهم خلال قرنين ، وغزاها الاسكندر المقدوني (عام ٣٣٢ ق.م) واتبعها لدولة الاغريق ، وغزاها العرب الانباط (عام ٩٠ ق.م) وظلت تابعة لعاصمتهم البتراء حتى احتلها الرومان . وتجاهلت فوق هذا وقبل هذا أن العرب المسلمين حرروها من حكم الرومان (عام ٦٣٦ م) وطبعوها نهائيا بالطابع العربي الخالص لغة وديانة فتعرب سكانها الاصليون ، وهم من سلالات الكنعانيين العرب أو من غزاة المهاجرين والغزاة المندمجين فيهم،ودانوا بالاسلام ، وظلت فلسطين عربية خالصة لغة وديانة ، حتى عام ١٩١٨ حين احتلها الانجليز . »

ويستطرد الدكتور قائلا بأن الصهيونية قد « أضافت الى تحريف التاريخ وخرافة التاريخ ، خرافة العنصر اليهودي ، فلجأ « هرتسل » و « وايزمن » وغيرهما من مؤسسي الصهيونية الى اقناع اليهود بالعنصرية اليهودية ، رغم ايمانهم الكامل ببطلانها فينظر العلموالتاريخ. لقد زينوا لليهود أن يهودي اليوم ينحدر من أولئك اليهود الاقدمين الذين سكنوا الارض المقدسة يوما من الايام، وتناسوا أن النظرية العرقية العنصرية نظرية باطلة من أساسها .. » الى آخر ما هنالك من سرقات واضحة فاضحة ! .

ومهما يكن الامر في تسجيل حوادث التاريخ المقطوع بها ، فانه ليس عفو الخاطر ولا من قبيل توارد الافكار ، أن يقع كل هذا التقابل، وأن يأتي كثير من التعابير بنصها من لدن كاتبين . هذا اذا لم تغب عن أذهاننا ، المقاطع المسروقة بحذافيرها ، والتنسيق الواحد بين المقالتين . وفوق هذا ، فان الكاتب لم يشر ولو مجرد اشارة الى مقالة الدكتور عبد الله عبد الدائم . وكان منه ذلك ـ فيما أعتقد ـ تعمدا، قصد طمس حقيقة المقالة « الاصل » ونشر الاخرى المسروقة . ثم أنه لم يشر حتى لكتاب تاريخي واحد . ولعله لم يقرأ هامش الدكتور الذي أشار علينا فيه بقراءة كتاب محمد عزة دروزة ، خاصة . أو لعله لم ير الكتاب ولم يقرأه . ولنفترض جواز ذلك ـ على أي حال من الاحوال ـ في التعرض للتاريخ وايراد خلاصة منه ، ثم لنفترض جدلا وقوع مثل ذلك التماثل ، فهل يجوز على القارىء مثل السرقات السابقة ؟ وان هذه الخلاصة التاريخية بعيدة عن تلك السرقة ، بدعوى أنها حوادث سجلها التاريخ ولا يختلف عليها اثنان ؟ .. وهل ينطلي على القارىء أن يحدث هذا التطابق بين اثنين تختلف ظروف كتابتهما، زمانا ومكانا ، ومهما كانا متقاربين في وجهتي نظريهما ؟! . ولنفترض جواز ذلك كله ، أيعقل أن يكون منهما هذه الوحدة في كتابة النص الواحد ، في القول التالي (والكلام هنا للدكتور) : ان معظم الفئة القليلة المستضعفة التي بقيت من اليهود بعد ضربة الرومان في القرنين الاول والثاني بعد الميلاد اعتنقت المسيحية واندمجت مع السكان الآخرين ثم اندمجت في الاسلام والعروبة ، وان معظم الذين تشتتوا في أنحاء سوريا ومصر وشمال افريقيا واستطاعوا أن ينجوا من المذابح في عهد الرومان اعتنقوا الاسلام واندمجوا في الاسلام والعروبة ،وان الذين بقوا على يهوديتهم بين الاقوام الاخرى في آسيا وافريقيا واوروبا اختلطت دماؤهم بدماء هذه الاقوام » .

أما الكاتب السيد جميل فانه يقول : « .. وان معظم القلة المستضعفة من اليهود القدماء التي بقيت في فلسطين بعد الغزو الروماني في القرنين الاول والثاني بعد الميلاد اعتنقت المسيحية واندمجت مع السكان الاصليين بعد الفتح العربي .. أما أبناء الشتات فقد اندمجوا بالسكان الاصليين ... لقد نجا اليهود من اضطهاد الرومان عندما تشتتوا الى سوريا ومصر وشمال افريقيا بفضل حالة السلم التي وفرها العرب لهم .. الخ .. » حتى يصل الى أن « اليهود في آسيا امتصوا وأذيبوا وتمثلتهم الاجناس الاصلية .. بينما اتخذت كتل كبيرة من أصل آري في أوروبا ، أليهودية دينا .. » وهذا نفس كلام الدكتور : « بل تناسوا ـ أي الصهاينة ـ فوق هذا أن كتلا من أصل آري في آسيا واوروبا اتخذت اليهودية دينا .. » .

ومثيل هذا التطابق نجده في قول الكاتب : « لقد كانت مهمة الصهيونية هي مهمة خلق تاريخ على غرار أغراضها ، وقومية على شاكلة أهدافها ، ودين يخدم مآربها الاستغلالية والامبريالية لتجعل من هذا أداة لتحقيق كيان سياسي .. » ويأتي الواقع نفسه ليؤكد من قبل وجود اسرائيل وليكذب الاسطورة الصهيونية التي تمضي بزيفها متسلحة أكثر فاكثر بطاقاته وأمكاناته .. لقد أعلن « هرتزل » ذاته عام ١٩٠٣ وهو الصهيوني الاول وصاحب كتاب « الدولة اليهودية » ... أنه يود أن يكون وطن اسرائيل القومي في أوغندة أو في أوستراليا أو في احدى الولايات الاميركية . ولقد عارضه « وايزمن » وصهيونيو روسيا بخاصة وبعض أعضاء المنظمة الصهيونية . أما البعض الآخر فكانوا يؤيدون اقتراحه . وهذا الامر يقوم دليلا قاطعا من الصهاينة أنفسهم على أن خلق كيان سياسي لاسرائيل في فلسطين مبني على الزيف .. » وقول الدكتور « لقد كانت مهمة الصهيونية خلق تاريخ على غرار أغراضها ، وقومية على شاكلة أهدافها ، ودين يخدم مآربها اللادينية ، لتجعل من هذا أداة لتحقيق كيان سياسي لها . » وقوله أيضا : « ويأتي الواقع قبل خلق اسرائيل وبعد خلق اسرائيل، ليكذب المزاعم ، ليفضح الزيف ، ولكن الزيف يمضي في جولته ويتسلح لها بزيف أكبر فأكبر : لقد أعلن « هرتسل » نفسه عام ١٩٠٣ ، وهو منشىء الصهيونية الاول ، وصاحب كتاب « الدولة اليهودية » أنه يؤيد الاقتراح البريطاني الذي تقدم به وزير المستعمرات جوزف تشمبرلين والقاضي بانشاء وطن قومي في مقاطعة «أوغندة» الافريقية. وعارضه في ذلك يومها « وايزمن » وصهيونيو روسيا خاصة، وانقسم أعضاء المنظمة الصهيونية أمامه شيعتين ، شيعة مؤيدة وشعة معارضة، أفلا يقوم هذا دليلا قاطعا على أن مسألة الصهيونية مسألة خلق أي كيان سياسي لليهود .. ؟ .. » ويستطرد الدكتور في قوله : « غير ان الزيف تابع جولته ، وأراد أن يوهم اليهود والرأي العام العالمي أن القضية قضية تاريخ ودين وشعب وعودة .. » وأن « اسرائيل التي

صدر حديثا

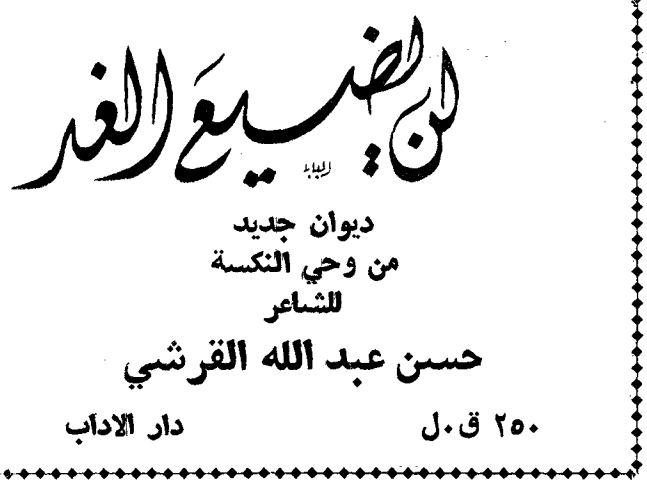

ديوان جديد
من وحي النكسة
للشاعر
حسن عبد الله القرشي

٢٥٠ ق.ل دار الاداب

حاولت الصهيونية خلقها باسم يهود العالم وبمساعدة يهود العالم تلقى عنتا وأي عنت في تهجير يهود العالم اليها ! » ليأتي عليه الكاتب المناف فيضعه هكذا : « ومع ذلك تابعت الاسطورة الصهيونية توكيد نفسها عن طريق ايهام اليهود والرأي العام العالمي أن المسألة هي مسألة شعب (!!) له حقوق تاريخية ولغة مشتركة وموطن وأرض واقتصاد موحد ، الا أنها رغم ذلك ، رغم النفوذ الواسع الذي تتمتع به في الغرب ، رغم قدراتها المالية وسيطرتها على الصحف والاعلام ومؤسسات النشر والتأليف ، تلاقي عنتا وأي عنت في تهجير اليهود الى فلسطين .. » .

وبخصوص التجميع اليهودي في فلسطين وأخلاطهم المجلوبة من شتى أنحاء الارض ، فان الكاتب يقول :

« .. أما اليهود الشرقيون الذين يشكلون الاغلبية ، فهم في الغالب من العامة وصغار الباعة والعمال الصناعيين والزراعيين .. يهود الشرق الذين تدفقوا من العراق واليمن وشمال افريقيا وسورية ولبنان يعاملون كمواطنين من الدرجة الثانية . بل ان الدولة تمارس ضدهم تمييزاً عنصريا .. و .. ان يهود الشرق قد تظاهروا أكثر من مرة وقاموا بانتفاضات مثلما حدث عام ١٩٥١ » .

بينما نقرأ للدكتور قوله : « واليهود الشرقيون يؤلفون حوالي ٤٥ بالمائة من مجموع السكان في اسرائيل ، وجميعهم تدفقوا من العراق واليمن وشمالي أفريقية وسورية ولبنان ... وهؤلاء اليهود الشرقيون جميعهم يلقون خسفا في المعاملة وتمارس الدولة ضدهم تدابير عنصرية. حتى أنهم اضطروا في تموز عام ١٩٥١ الى القيام بتظاهرة كبرى في تل أبيب احتجاجا على سياسة التمييز العنصري والمفرقة ! » .

وأعترف أنه ليس بمستطاعي أن أنقل كل ما ارتكبه الكاتب جميل المناف في حق الدكتور عبد الله عبد الدائم ، أولا ، وفي حق الامانة العلمية ثانيا ، وفي حق القراء جميعا ، ثالثا .

واذا شئت أن أوفي الموضوع حقه ، في أن أبرز ما سرقه الكاتب وسطا عليه من مقالة الدكتور ، فانه يقتضيني أن استنسخ المقالتين (أو بالاحرى المقالة الواحدة بصورتيها) معا لاضعهما أمام أنظار القراء. وهذا الامر ليس فقط يستغرق وقتا مني وأنا في هذه العجالة ، بل يستغرق كثيرا من صفحات المجلة ، خاصة وأن مقالة الدكتور تقع في نحو تسع عشرة صفحة أغلبها الاعم مطبوع بالحرف الدقيق (الناعم).

ولكني أؤكد لمن لم تسعفه الفرصة في الاطلاع على مقالة الدكتور ، أن هناك نصوصا كثيرة ـ غير التي أوردنا ـ مبثوثة هنا وهناك من صفحات مقالة الكاتب جميل المناف ، مثل قوله في اسرائيل « أمسكت البندقية بيد والمعول باليد الاخرى .. » وقوله عن « الوحدة العربية : التي يجب أن تقوم كرد طبيعي على تحديات اسرائيل والاستعمار العالمي بقيادة الولايات المتحدة الاميركية .. لا تقوم تهيئة منظمة لها .. بل لا يقوم عمل واع من أجلها وخطوات تدريجية نحوها ، ولا يلعب الفكر الاشتراكي دورا رئيسيا في بنائها .. بل غالبا ما تسفل الى سوق المساومة والمناقصة ، وتتردى الى الشعارات الديماغوجية والتضليل السياسي .. » .

وكذلك قوله : « وبداهة فان الوطن العربي تجاوز مرحلة الدعوة الى الوحدة وهو الآن في طور الاعداد لها .. الخ.. » وأيضا قوله في « التخلف العلمي والتكنولوجي » لدى الاقطار العربية ، وتعرضه لما توفر عليه الصهاينة : « لقد يسرت لاسرائيل خبرة علمية هائلة وأموال طائلة ، ولا يمكن للحقيقة العربية التي تصارع الاسطورة الصهيونية وتحديات الامبريالية الا بتعبئة سريعة ومنظمة وعلمية للطاقات البشرية العربية الخبيرة والفنية والسياسية .. » .

كل هذه الفقرات وغيرها ، مما لم ندونه هنا ونقتطعه من المقالة المنسوبة الى الكاتب جميل المناف ، موجودة في مقالة الدكتور عبدالله عبد الدائم ان لم تكن بالنص ، فببعض النصوص وذات التعابير ، مع الابقاء على المعنى نفسه ضمن التسلسل الذي سلكه الدكتور في مقالته.

وبعد هذا ، لا بد من كلمة نسجلها بصدد المقالة الواحدة التي نشرت على صورتين ، فنقول : ان الدكتور عبد الله عبد الدائم كان قد عالج القضية العربية الفلسطينية معالجة علمية ، موضوعية ، اظهرها فيها على « الحقيقة » بجمع ما لديها من امكانيات التحرك والعمل وبكل ما فيها من مرارة وقسوة وشذوذ ، ارادة أن يعرفنا بالطريق ، أو بشيء من معالمه ، على الاقل . وقد كان الدكتور موفقا . كما كانت مقالته بحق جديرة بأن تهتم بها الحكومات العربية الثورية والحركات الثورية معا . ومرد ذلك ـ في تصوري ـ الى أنها جاءت من أحاسيس متحرقة باخلاص ، متحفزة بادراك ، فضلا عن أنها صدرت عن رجل تربية وبحث معروف . كما أنها جديرة باهتمام الدكتور وغير الدكتور ، بأن تكون أساس دراسة وبحث أشمل وأعمق ، خاصة في الظروف الحالية .

وقارىء المقالة بامعان ، فضلا عن أنه يخرج بصورة متكاملة لقضيتنا التاريخية ، فانه يخلص في الوقت نفسه الى أن ما كتبه جميل المناف، ليس أكثر من تشويه لتلك الصورة ، وافساد لهذه المقالة ، زيادة على الاستهزاء بالعلم والفكر ، والقراء ، حيث ادعى ما ليس له فيه شيء، ولو كان يملك شيئا لما لجأ الى ما لجأ اليه من سطو وسرقة . بل لقد كان حريا به ـ وهو يزعم أنه يبحث في معركة الصمود العظيم ، وتحدي بقائنا ـ ان يحبس نفسه في ركن من منزله أو غير منزله ، ويجعل يحرقها ويحرقها فيما يفور الى اعماق القضية العربية الفلسطينية ويخوض غمارها ويدور في جوانب التحدي البشع الشرس للانسان العربي خاصة والانسانية جمعاء ، ابتغاء أن يخلص بموضوع مهما كان له من الصحة والتأثير ، فانه لن يعدم القيمة الحقيقية له ، هذه القيمة الخالصة النابعة من الصدق والاخلاص ومن الروح الامينة في المعالجة ، وليقتبس بعد ذلك ما شاء أن يقتبس ومن أي كاتب كان ، شريطة أن يشير اليه وبأية كيفية كانت !

أما أن يلجأ الى الادعاء الباطل والتعالم الزائف ، وفي موضوع على غاية الاهمية في حياتنا ، بل هو حياتنا ذاتها ، فأمر لا يمكن السكوت عليه مطلقا .

وأخيرا أرجو أن يطلع القراء على هذه الكلمة وأن يجيبنا الكاتب جميل المناف بشيء .

بغداد — هادي الطعمة

صدر حديثا

أباريق مهشمة

للشاعر عبد الوهاب البياتي

طبعة جديدة لواحد من اهم دواوين الشعر العربي الحديث

منشورات دار الاداب — ٢٠٠ ق.ل

اليسار العربي بين الزيف والاصالة

بقلم : عزيز السيد جاسم

لعل من اغرب ما يسجله القاموس السياسي حقيقة غموض اليسار العربي . وما هذا بالظن ولا بالمبالغة بل انه امر مستقرأ نتيجة المعطيات الايدلوجية الفعلية المعاشة في واقعنا العربي المعاصر . ان اليسار العربي غير متبلور حتى الان وهو في محاولته الجادة للتكشف وبفعل ضغط الظروف القسرية المفروضة من الخارج والمؤيدة من الداخل يجب ان يتلافى أشكالا عديدة وتواجدات متنافرة تدعي اليسارية ، في حين انها وحدها المسؤولة عن اضطراب اليسار وتعثره اللامبدئي .

واول هذه الاشكال (اليسار الاكاديمي) . ما الذي نعنيه باليسار الاكاديمي وما ظروف نشوئه وعزلته ؟ وهل هو يسار حقيقي أم أنه تزييف مقصود ؟ الواقع ان اليسار الاكاديمي هو يسار المثقفين الذين يمتلكون قابلية التنظير الايدلوجي وجدارة التحليل لكثير من المواقف والمسائل السياسية . وهؤلاء المثقفون يخضعون على الاغلب ـ وليس عموما ـ لانانية شبه طبقية وهم ومهما تكن اعتناقاتهم اشتراكية يعيشون ضمن اهتماماتهم البرجوازية التي لا يستطيعون التخلي عنها الا بعد عنت . والمثقف العربي تقريبا وليس حصرا يمثل بؤسا غريبا لكونه يرسم خطا بيانيا للانشطار الواضح بين المذهبية وبين المعايشة ، فهو مثلا يتكلم عن أعوص المسائل الثورية وعن حرب العصابات وعن الستراتيجية الثورية والتكتيك الناجح ، لكنه لا يتعدى في كل ذلك المجال النظري ، وعمليا يمارس حياة ارستقراطية وتطلعا شبه رسمي لاستحصال مكانة جديدة مميزة . لفترة معينة نخال انفسنا وكأن مثقفينا هم افضل من قدم بحوثا فكرية نشطة واسهامات ايدلوجية مطورة ، ولكننا مع ذلك نفجع بهبوط مستوى اليسار الى ما دون المفروض والاعتيادي . وهذه الظاهرة امدت المثقف ولاحيان كثيرة بوضعيات ازدواجية ونزعات تبريرية تجنح يمينا تارة ويسارا اخرى من اجل ان تفسر وتقدم تعليلات متأخرة تنسحب انعكاساتها على واقعنا السياسي فتمسخه بشكل أهوج . ان عجز المثقف عن ان يكون ثوريا حقيقيا ليس بهذه الدرجة من الخطورة ولكن درجة الخطورة هي في تنامي صفة البيروقراطية وتعاظمها بحيث تتحول سلاحا ارهابيا فتاكا يوجه ضد اليساريين انفسهم . وظاهرة المثقفين كما يبدو تزخر بها المجتمعات في مرحلة النشوء الثوري ، وقد اوضح ذلك كظاهرة حتى في الصين (ماوتسي تونغ) (أندريه مالرو) . ولكن الشيء الذي لا يغيب عن البال ان هؤلاء المثقفين لا يقفون في البدء كقوة معوقة بدرجة او بأخرى في المجتمعات الاشتراكية ، انما يشكلون اعاقة جانبية بعد مرحلة تثبيت السلطة ، اما عن المثقفين العرب فهم وقبل ان تتحقق بعض آمال الشعب العربي في الحرية والاشتراكية يفلسفون اليسار ويزيفونه انى شاءوا . ان المثقف العربي يكون نموذجا لعدم الفعالية لكونه لا ينخرط فعليا في العمل الثوري ، انه يريد ان يقلد صيحة العمل الثوري لكنه لم يجرؤ على ان يطلق الصيحة فعلا . أي انه يظل حبيس حدوده البرجوازية دون ان يحطم الطوق التقليدي والاسلوب الشائع والنظرة الموروثة عن المثقف كمتزن (عاقل لا يلقي بنفسه الى التهلكة !) وطبعا هذا لا يعني انعدام وجود المثقفين الحقيقيين الذين دافعوا عن شعاراتهم بنكران ذات واخلاص متناه ، لكن قلتهم وعدم توفر شروط العمل الثوري الحقيقي جعلهم في حالة من السلبية القصوى ، السلبية المفروضة عليهم .

ان اليسار الاكاديمي هذا ينبعث لا بفعل شروط وجود حقيقي بل انه ينبعث بفعل امكانيات ممنوحة من الاعلى ، لذلك فهو ليس جوابا طبيعيا لاحتدامات اجتماعية قائمة ، ولكونه هكذا ليس وليدا حقيقيا فهو لا يمتلك سوى خاصية الوصف والتحليلات السطحية والتناقضات في فهم المرحلة وطريقة التجاوز . وغالبا ما ينخرط قادة هذا الفكر الاكاديمي في اقتباسات غريبة ومتنوعة تجمع اشتاتا من الماركسية والبرودونية والسان سيمونية والمالثوسية والعقلية الدينية والتفسيرات المثالية من أجل اخفاء جوهرهم الضحل واصطياد المناسبات لاقامة مناهج احتفالية جاهزة ، في حين انهم يصطفون في الخطوط الخلفية اصلا . ومن مظاهر عقلية الاكاديميين في واقعنا ظهور شروحات غريبة توهم القراء بأنها مدعومة بنظرية ثورية صادقة ، فهي تعزل المقولة الثورية عن واقعها الحي والذي اوجدها ومن ثم تنسبها بشكل فج واضطهادي الى حادثة تختلف تمام الاختلاف عن الحادثة الحقيقية التي ولدت المقولة تاريخيا . كأن تفسر (الخطوة الى الوراء) تفسيرا دجالا يدعو الى تقديم تنازلات عديدة وعدم تشبث بأي موقع . او كأن تفسر نظرية (اخضاع التناقضات الثانوية للتناقض الرئيسي) بأهمية (تأجيل الصراع الطبقي) لخدمة الصراع بين (كل الامة) وبين (اليهود) .

ان هذا اليسار الاكاديمي يتطرف حينا ويتراجع حينا آخر وهو يجعل من تجربة شعبنا العربي مقاسا يطبق عليه حساباته الخاصة فكأن حساباته هي اعتقاد مطلق خلقت كل الوقائع لاثباته وتأييده ! وهذا اليسار يستغل الامكانيات المعطاة له فيسخر الصحف والمجلات والندوات لتقديم برامج مضللة وتحليلات ديماغوغية مضببة . وهذا اليسار ينفضح في المواجهات الثورية الكبرى فيضطر أن ينزوي ململما اذيال معلوماته المفرضة والمقطوعة الجذر . وحيث ان شعبنا العربي يتهيأ لاقصى درجات الشجاعة والضبط والتسلح الثوري لتحقيق وجوده الكامل والحر والمشروع ، ولكونه يدخل معركة ضارية ومصيرية ضد غزاة فاشست وعدوانيين مسلحين بكل ما يهيء لهم مجالات عدوان اكثر فاننا يجب ان لا نسمح لاولئك اليساريين الاكاديميين ان يكونوا اساطين الفكر الثوري ومنظريه . ان اقل ما يشترط في اليساري هو ان يمتلك استعدادا كليا للتضحية من اجل شعبه ووطنه ، وهو يستطيع فقط ان يتكلم عن ذلك لكنه يتصعق امام الامتحان . ان القدرة الفدائية هي الوحيدة التي تعري الاكاديميين وتفضح الدور الوضيع الذي يلعبونه . واليسارية نفسها ليست عرضا لقضايا الفكر الثوري فحسب ، انها عمل ثوري وبدون العمل الثوري لا يتوفر الصدق في النظرات الثورية ، والاكاديمي اذ يتنصل من العمل الثوري انما يقدم مجموعة صفقات مبطنة بشعارات الثورة ولكنها في الحقيقة تريد النيل من تطلع شعبنا العربي الى مستقبله الافضل الذي يصنعه بنفسه .

وهناك الشكل الآخر وهو (اليسار التقليدي) ، وهذا اليسار يمتلك ارثا فكريا على هيئة مقولات معينة ومحدودة تستعمل في كل الحالات وبشكل دوغمائي حاد . وهو وبهذه الوضعية يحول الفكر الاشتراكي الى فكر متكلس يستعمل على هيئة بطاقات وصفية تصر على عدم فهمها للظروف الذاتية والموضوعية للحدث المعين لذلك فهو من خلال هذه العقلية يمثل بيروقراطية صارمة وعدم مرونة في التعامل مع

لجميع مطبوعاتكم :

دار الندى
للطباعة والنشر

بيروت ـ تلفون : ٢٣٠٥١٢

الاطراف المتفقة في شعار مرحلي معين . وهذا اليسار يمتاز بانغلاقه امام كل التأثيرات الجديدة في عالم الفكر الحر والاشتراكية على اساس اعتقاده الجازم بلاشيئية او تفاهة ما هو خارج عنه وهو في نفس الوقت يعقد ظروف العمل الجبهوي ويميل الى فرض شروط قاسية يمليها بحيث تكون شروطه هذه في الدرجة الاولى وتفوق في الحساسية والاهمية الغاية التي يتحتم نحوها العمل الائتلافي الثوري. واليسار التقليدي نفسه يعتبر شكلا برجوازيا آمريا يتمسك بشعارات يسارية نظريا في حين انه ينسف ومن الداخل كل النوى التكوينية للبناء اليساري فهو :

(اولا) قليل ان لم يكن منعدم الثقة بالقوى السياسية اليسارية او الديمقراطية او الوطنية التي من الممكن شل الاجنحة اليمينية فيها وعزلها لضمان دفع اليسار المبتدىء فيها الى اليسار الحقيقي . ومن هذا الاساس (فقدان الثقة) تنزرع الغام تمزق العمل الوطني ككل والذي يشكل مبدئيا الموضوع الحيوي بالنسبة للجميع .

و (ثانيا) واذ تحتدم الخلافات بين الاطراف المعنية بين الاتهام والرد على الاتهام باتهامات اشد واكثر اسفافا يتفير طابع المعركة فيكون اقتتالا شعبيا داخليا بدل ان يكون توحيدا داخليا ضد الامبرياليين واعداء الشعب . واذ يتحول التناقض الرئيسي والخطر الى الخطوط الخلفية محتفظا بوجوده كتناقض رئيسي لفظيا فحسب ، وفي نفس الوقت يتم ابراز وتهويل التناقضات الثانوية وتتحول الى تناقض رئيسي حاد ، يلعب اليسار التقليدي دورا تدميريا هائلا .

و (ثالثا) ينكىء هذا اليسار التقليدي الى يقين رياضي بأبوته ومسؤوليته التي ينفرد بها كصاحب الحق الوحيد في مسائل التكتيك والستراتيجية الثورية وقضايا البرمجة والمنهجة النظرية . وحيث ينعزل عمليا لاتباعه اساليب متخلفة او منحرفة ، يكسبه اصراره على الاولوية سخرية واحتقار اغلب اليساريين . وان الوضع البيروقراطي الذي يغرق فيه التقليديون ينقلهم الى الجانب الآخر حيث يتمسكون بحق الهي مرفوض أصلا وحيث يئدون بانفسهم مقولات الثورة والاشتراكية التي يترنمون بها .

و (رابعا) ان اليسار التقليدي في اغلب المواقف يقدم وجهات نظر مستنسخة ومنقولة عن قوى يسارية تخرج عن منطقتها جغرافيا دون اي فهم صادق وجدي لطبيعة التشابكات والتناقضات ودرجة تفاقمها في موطنه . ان هذا الاستنساخ غير مبرر ابدا وهو يعد خرقا فاضحا لابسط مفاهيم اليسار الحقيقية .

و (خامسا) ان نصية اليسار التقليدي تتضح عبر شكلين الاول النصية الايدلوجية حيث ان الذخيرة الفكرية الوحيدة عنده هي المعطيات المنقولة والمبتورة (بعزلها عن واقعها الاصلي) والتي تحرف وتشوه الفكر اليساري لانها تحوله من فكر عالمي ثوري خلاق وكمرشد عملي الى تسطيرات مقولبة بتقديس كنسي ، وتزيفه بتحويله من ثورة حقيقية دائمة الى مجرد طقوس . وهناك النصية الثانية والاكثر خطورة وهي نصية تجريبية يفرضها اليسار هو فقط ، اي انه يحتكم الى تجاربه على اساس انها التجارب الوحيدة التي لم تخطىء والتي تؤخذ منها الدلالات .

و (سادسا) ان هذا اليسار لا يغير في وسائله النضالية ابدا وهو يحافظ على انماط ثابتة في العمل السياسي والثوري دون اي اعتبار للتبدلات التي تعتري العالم وتستجد من حين لآخر . وحيث يقابل دعاته العالم المتجدد باستمرار باسلوب تقليدي قديم فهم يتحولون مباشرة او بشكل غير مباشر الى معوق يعترض نمو وتعاظم الحركة الثورية . أن هذا اليسار التقليدي اذن يشكل فشلا مرا واليه تنسب كثير من الانتكاسات التي منيت بها الحركات التحررية العظمى . وهو

هذا الشهر

التحدي الاميركي

بقلم جان جاك سرفان شرايبر

ترجمة فكتور سحاب

« التحدي الاميركي » كتاب تنبغي ترجمته الى اللغة العربية بأسرع ما يمكن .. وينبغي ان يقرأه العلماء والمهندسون ومديرو المؤسسات ورجال الاقتصاد والتخطيط ، والشباب الذي يحمل مسؤولية السنوات القادمة ، والمشتغلون بالسياسة ... وكل من يريد ان يلقي نظرة بعيدة المدى على المستقبل ، ويهمه البحث عن « صيغة عمل » لمواجهة التحدي الاميركي ... »

(ابراهيم عامر ـ « المصور »)

وكتاب « التحدي الاميركي » يحاول بالارقام والوقائع ان يرسم خطوط المستقبل الرهيب الذي تعده الامبريالية الاميركية للعالم . ويشكل تحذيرا لهذا العالم من مستقبل الايام في حال استمرار معدلات التطور الحالية . ان مشكلة الكتاب هي مشكلة « العالم الحر » الذي بدأ يتفسخ تحت ضغط تركيز السلطة في العالم في يد الامبريالية الاميركية . ويزيد من قيمة الكتاب ان مؤلفه الفرنسي « جان جاك سرفان شرايبر » ينتمي فكرا ومنهجا الى العالم الحر نفسه .

وتدل الاحصائيات على ان هذا الكتاب الذي صدر في اواخر ١٩٦٧ فضرب الرقم القياسي في الرواج والمبيع ، سيكون ايضا كتاب عام ١٩٦٨ بما ينطوي عليه من دراسات وتنبؤات عن مستقبل العالم تجاه التحدي الاميركي .

منشورات دار الآداب

يصدر من وقت لآخر نوعيات غريبة يمينية او يسارية ، متطرفة او معتدلة تخلق ارباكا للوعي السياسي الثوري الجيد .

وغالبا ما يكون هذا اليسار التقليدي منظما تنظيما حزبيا . وفي واقعنا العربي نستطيع ان نرصد حركته منذ الاربعينات حتى الستينات فنجده لا يمتلك اية مبادرة ثورية تحويلية ناجحة في حين انه يتحدث وكأن بيده خيوط كل التحركات والاحداث السياسية . ولشد ما يشبه احيانا طائفة دينية تتقوقع في حجر مذهبي جامد وتتآكل دون ان تفعل شيئا للحركة العربية ولا حتى لنفسها .

وهناك شكل من اشكال اليسار هو (اليسار الظرفي) وهذا اليسار وقتي وطارىء على اعتبار انه يسار انفعالي فجرته ذروة الاحتدامات المصيرية . وهذا يفتقر الى شيئين : (اولا) الخلفية الايدلوجية حيث انه لا يمتلك وعيا ثوريا اكيدا ، اذ لا يغيب عن الرؤية ان الوعي الثوري ليس وعيا استهلاكيا ولا ترخيصا سياسيا انه امتداد وعمق واحاطة . وله جذور تضرب في المسافات البعيدة . و (ثانيا) القدرة النضالية . وهذه القدرة طاقة متجددة جريئة لا ينضب معينها في التضحية والاخلاص والصراع . ان اليسار الظرفي يفتقد هذين الشيئين فهو سطحي انتقالي سريع . وسواء أكان ظهورا مفاجئا غير مصدوم سرعان ما يختفي تحت وطأة الريح او نزوة مغامرة لا يمكن بأي حال اعتبارها موقفا ثوريا ، يظل اليسار الظرفي هامشيا تماما . وخطر اليسار الظرفي يتمثل في ابعاده اليسار الحقيقي عن الميدان لانه يتكلم بنفس حججه تدعمه في ذلك امكانيات ممنوحة . فمثلا ان قوة سياسية لم تتكلم عن فكر او منهاج يساري ابدا وبفعل تأثير انتكاسة حزيران شرعت في تقديم تحليلات واستنتاجات يسارية ، ولتوفر كل المجال لها نسبت لنفسها انها القوة اليسارية المخلصة ولم تقدم اي دليل على حرصها على توحيد قوى اليسار . هل نقول عن هذه القوة المفترضة بانها يسار حقيقي ؟ طبعا لا ، انها تمثل يسارا ظرفيا الا اذا قدمت ادلة عديدة توضح تجديد هويتها .

الخلاصة اننا نستطيع ان ندرك جيدا هذه اللوينات جميعا ، فاليساري الاكاديمي يتحفنا بالتحليلات عشرين عاما أو أكثر تحت حماية السلطة ـ أي سلطة ـ ودون ان يذوق شيئا من ألم المعاناة ولم يعلن استعدادا تطوعيا في خدمة الحركة الثورية العربية . واليساري التقليدي يقبع في حدود تنظيمات خلوية معاقرا أدبياته بشكل نرجسي ساخط دوما مهدد دوما وغير منفتح او متطور . واليساري الظرفي يظهر في المناسبة لانها عرسه وان كانت مأتما .

ولاجل ان يتلمس اليسار طريقه الحقيقي ينبغي ان يدخل في معركة فضح وازاحة ضد كل الاشكال التزييفية والانشقاقية والتحريفية، وهذا لا يكون أبدا الا عن طريق ضمان اصالة لا شك فيها . ان اليساري الحقيقي يمتاز بجملة صفات وقابليات توفر له سمعة ثورية جيدة :

(اولا) اليساري الحقيقي له ثقة مطلقة بالجماهير ومكانتها ودورها التأريخي ، والجماهير بالنسبة له الغاية والوسيلة . وبذا يحقق ارتباطا كاملا بها ويرجع لها من حين لحين في كثير من مسائل النقد والاستفتاء . اليساري لا يتكلم عن الجماهير في حين انه يستهين بطاقاتها بل ان ثقته بها لا حد لها ولا تقف ضمن حدود . ان عزلة الثوريين عن الجماهير هي السبب في فشل التزام الجماهير للقضايا الثورية التي ينادون بها . الجماهير اكبر من أي حزب او تنظيم او مسؤول او سلطة . ومن هذا الاساس ينطلق اليساري .

(ثانيا) اليساري يسترشد بآيدلوجية ثورية جدلية يستطيع من خلالها تحصيل رؤية كاشفة ويستطيع وضع الستراتيجية وتبديل التاكتيكات الثورية ورفع الشعارات التي تلخص مصالح وغايات الشعب الآنية او المرحلية او العامة . واليساري يمتلك خلفية فكرية خصبة

في الشهر القادم

تشريح جثة الاستعمار

تأليف غي دوبوشير
ترجمة ادوار الخراط

هذا الكتاب الجديد محاولة لتعريف الاستعمار واثبات انه ظاهرة اوروبية محض ، وهو يتلمس الصلة بين التعمير والاستعمار ، ويعقد فصلا مطولا عن التفرقة بين الاستعمار والامبريالية ، ثم يشرح كيف بسطت المسيحية ظلها على اوروبا ، وصلة ذلك بالغزوات التي كانت تتخذ من الدين قناعا لاخفاء الجوانب الاقتصادية الاساسية لظاهرة الاستعمار . ويمثل على ذلك بروح الحروب الصليبية ، في حين يثبت بالبراهين والادلة ان التوسع الاسلامي ليس بظاهرة استعمارية لا من حيث الاسس والاصول ولا من حيث التركيب والبنية .

وينتبع الكتاب تطور ظاهرة الاستعمار عبر عصر النهضة وبدء ظهور الرأسمالية ويقوم بتحليل عميق للصلات بين الرق وبدء عصر الرأسمالية وظهور الطبقات العاملة والتوسع الرأسمالي في آسيا وافريقيا ، وينتهي بتحليل سقوط ظاهرة الاستعمار .

منشورات دار الآداب

تمنحه استعدادا فلسفيا وسياسيا وادبيا يكفل المعاصرة الحقيقية الهادفة . وهو بذلك عدو لكافة اشكال العسف والاضطهاد والتعصب .

(ثالثا) اليساري ينمي اخلاقية ثورية توطد مكانة الثوريين وتعزز من علاقتهم بالجماهير وثقة الجماهير بهم . فهو عدو للانهزامية والوصولية والانتهازية والتهريجية .

(رابعا) اليساري ليس نصيا ولا تجريبيا ولكنه في نفس الوقت لا يستغني عن النصوص والتجارب ويعتبر كل الثقافات ارثا انسانيا ضخما يجب تطوير جوانبه الايجابية والاخذ بها . واغناء الفكر اليساري بكل المحصلات العلمية والانسانية الرائعة وملاءمتها وتوحيدها مع التجارب الانسانية هو من مهمات اليساريين الاساسية .

(خامسا) ان شعار اليساريين في ضرورة تكوين مجتمع عربي اشتراكي موحد يدفعهم الى اتخاذ موقف تعاوني تضامني ايجابي مسؤول ازاء كل الوطنيين والتقدميين مهما كانت درجات وعيهم ورؤيتهم وفي الوقت نفسه يتخذون موقفا شديدا ضد الفصائل والزمر المرتبطة بالامبريالية العالمية وقوى الاستغلال المحلية .

(سادسا) اليساري لا يلتزم أي انشقاق في المعسكر الاشتراكي ولا يمكن أن يجعل ارتباطاته بالمعسكر الاشتراكي عاطفية أو رسمية أو بوضع عبودي . انه يعتمد على بصيرته الثورية ووعيها لظروف مجتمعنا بالدرجة الاولى مع الاستفادة من خبرات وتجارب الثوريين في العالم كافة . ان التزام الاتحاد السوفياتي أو الصين في خلافهما العقائدي بشكل اندفاعي حماسي ليس دليلا على الوعي اليساري أو الاخلاقية الثورية ان لم يكن تحريفية مقصودة .

(سابعا) اليساري الحقيقي هو الذي يمارس نشاطا ثوريا متجددا لخدمة قضيتنا العربية (كالفدائيين العرب الابطال مثلا) دون أن يتخلى عن دعمه لكل قضايا التحرر والثورة العالمية .

(ثامنا) اليساري اخصائي في معرفة طبقات المجتمع العربي والفواصل التي تجزىء وجزأت هذا المجتمع ، ويدرك طبيعة ظروفه الذاتية ووضعه العالمي والتحولات الكبرى الخطيرة في العصر ولذا فهو لا يتوانى أبدا عن التضحية بالاجزاء وبالمصالح المؤقتة من اجل الشعار الاكبر ، شعار تحرر الارض العربية وبناء المجتمع العربي الاشتراكي .

ان الندوة الاشتراكية التي عقدت في الجزائر ينبغي أن تعمم كتجربة عظمى وخلاقة تستهدف ايجاد لقاءات بين الاطراف والقوى الثورية ، ومن خلال هذا الطريق يستطيع اليسار الحقيقي ان يتبلور ويزيح كل الاشكال الزائفة والمظهرية ليضمن اصالة حقيقية بناءة .

العراق — **عزيز السيد جاسم**

دار الآداب تقدم

القاص العراقي

غائب طعمه فرمان

في روايته الجديدة

خمسة أصوات

صدرت حديثا — الثمن ٥٠٠ ف. ل